

الخوارج وظاهرتا الغلو والعدوان

مقدمة تاريخية:

إذا ما علم المرء حجم العوامل والمتغيرات التي أحدثت صداما مسلحا بين المسلم وأخيه المسلم عقب المرحلة التي تلت مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه وكانت هي بعينها المقدمات التي أعاققت الامام علي عن أن يسكن نيران الفتنة التي مزقت شمل الأمة الواحدة، أدرك لماذا آثر بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الصمت، والابتعاد عن مؤثرات وتأثيرات الصراع الذي سدد بسببه المسلم سهمه نحو رقبة أخيه المسلم يريد ازهاق روحه وتيتيم أطفاله وترميل نسائه، وكان في مقدمة هؤلاء الرجال نماذج من أمثال عبد الله بن عمر وأبي موسى الأشعري وسعد بن أبي وقاص وأبي بكر، وغيرهم.

ولقد كانوا على بصيرة من الأمر فلم تستفزهم الحادثات، ولم يستخفهم ما استخف الرجال من طلب الدنيا، ولما استحضروا ما تركه فيهم منذ قليل رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركوا أنهم أمام فتنة وعليهم أن يمسكوا عنها حتى لا يقعوا فيها وعلا صوت بعضهم^(١) يذكرهم بوصية رسول الله وتحذيره أن: (... ستكون فتن القاعد فيها

(١) روى أبو بكر أن رسول الله خطب الناس فقال: (ألا تدرون أي يوم هذا...) أليس بيوم النحر؟

خير من القائم والقائم خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به^(١).

لكن موضوع الخلافة، ومنذ المراحل الأولى عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم: هو الذي حرك في النفوس كثيراً من المطامح، ومن ثم جر على التاريخ الاسلامي كثيراً من المشاكل والاضطرابات وخاصة منذ واقعة (الجمل الشهيرة).

ومع أن بوادر غير طيبة نجمت عن موضوع الخلافة قبل: (واقعة الجبل) لكن صولة الدين في نفوس المؤمنين كانت قوية: وكان الناس حديثي عهد بالنبوة فكبحهم دينهم وقرب عهدهم بالنبوة وسلامة قلوب العامة، فلم يرخ الجميع لأهوائهم أعتتها، فخلاف المهاجرين والأنصار يوم السقيفة وتلكؤ بني هاشم عن بيعة الصديق، وابطاء العباس، وتأخر علي رضي الله عنه، فيما يذهب البعض عن المبايعة ستة أشهر^(١) حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها: كل ذلك يعطينا دلالة عن المدى الذي اعتلجت به نفوس البعض حول موضوع الخلافة.

ومع أن الأمة الاسلامية عقب حروب الردة مباشرة أصبحت تحت لواء الخليفة أبي بكر، ومع أنه لم تبرز مشاكل ذات أهمية على سطح الحوادث حول موضوع الخلافة وتطلع البعض اليه في عهد عمر رضي الله عنه، الا أنه فيما يبدو كان كل من الرجلين بالرغم مما انشغل به من أمر توسيع رقعة الأرض الاسلامية ونشر الدعوة ومواجهتها لحروب الروم والفرس، يجابه الواحد منها بعد الآخر مشكلات جانبية حول طموح بعض الناس في الخلافة.

فقد دخل ذات يوم عبد الرحمن بن عوف على أبي بكر في علته التي مات فيها فقال: (... أراك بارئاً يا خليفة رسول الله فقال أبو بكر: ^(٢) أما أني على ذلك لشديد

≡ (قلنا بلى يا رسول الله) قال: (أي بلد هذا أليست بالبلدة الحرام)؟: (قلنا بلى يا رسول الله) قال: فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا: ألا هل بلغت؟ (قلنا: نعم) قال: اللهم فاشهد، فليبلغ الشاهد الغائب: من كتاب الحج في صحيح البخاري طبع ليدن.

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٣١٥ ليدن والحديث عن أبي هريرة.

(٢) الطبري: (تاريخ الأمم والملوك) جزء ٢ صفحة ٦٢٠.

(٣) الكامل للمبرد ج ١ صفحة ٥ مكتبة المعارف بيروت بدون تاريخ.

الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد عليّ من وجمي .

اني وليت أموركم خيركم في نفسي (يقصد عمر بن الخطاب) فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه . والله لتتخذن نضائد الديباج وسطور الحرير ، ولتألن من النوم على الصوف الأذري ، كما يألّم أحدكم من النوم على حسك السعدان ، والذي نفسي بيده لأن يقوم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخوض غمرات الدنيا ، وأنتم أول ضال بالناس غدا ، فتصدونهم عن الطريق يمينا ويسارا).

ومن هنا أخذ ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه قريشا وهي على ما هي عليه في علاقتها بالاسلام والمسلمين أشبه ما تكون بأسرة حاكمة ، أخذها بسياسة فيها من المضاء والعزم بمقدار ما فيها من نفاذ البصيرة وبعد الغور والغوص في خبايا النفوس وطواياها . حتى إنه رضي الله عنه حظر في مرحلة من حكمه العادل على أعلامهم من المهاجرين الخروج الى البلدان الا باذن وإلى أجل ، ولما اشتكوا له وبلغه قال: (الا واني قد سنتت الاسلام سن البعير: يبدأ فيكون جذعا ، ثم ثنيا ، ثم رباعيا ، ثم سدسيا ، ثم بازلا ، ألا فهل ينتظر بالبالز الا النقصان؟ وإن الاسلام قد بزل ، ألا وإن قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عبادة ، ألا فأما وابن الخطاب حي فلا: اني قائم دون شعب الحرة فأخذ بجلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا إلى النار.)^(١)

هذا وقد فعل رضي الله عنه ما فعله مه هؤلاء الصفوة رضوان الله عليهم لما رآه بعين بصيرته من أن هؤلاء الطيبين الأخيار الأطهار ، هم من أجلّة أصحاب رسول الله ، قد يئس منهم الشيطان أن يعبدوه ، وبعد أن أبلوا في نصره الاسلام وتمكينه في الأقطار أحسن البلاء ، وصبروا في سبيل الله على شظف العيش والحرمان من الطيبات حتى صار يضرب بهم المثل ، في قوة التحمل والرجولة والتشمير عن ساعد الجد ، ولا خوف عليهم الا أن يجيد بهم الطريق السوي الذي هم عليه الى الغنى والترف ، فكان عمر رضي الله عنه أحرص على سلامة هؤلاء الأصحاب وعافيتهم ، فحال دون خروجهم الى الأمصار ومعاينة مفاتن الدنيا وبهاجها .

(١) الطبري ج ٥ صفحة ١٣٤ .

وكان رضوان الله عليه يصارحهم بخطته معهم دون التواء أو غموض ويقول لهم
(... ان أخوف ما أخاف عليكم انتشاركم في البلاد)^(١).

وبهذه الخطة جمع عمر الناس جميعا على قلب رجل واحد حين جمع زعماءهم في
يده، وتحت قبضته، فأشرف على سرهم وعلانيتهم.

وهذه الخطة كما قد ترتب عليها مع شدتها الظاهرة وقسوتها الرحيمة بعض
الضغوط على بعض الرجال لكنها تنطوي على بعد نظر، وعلى قلب مؤمن مشغول
بصالح الناس جميعا، فان انتشار هؤلاء القادة في الأمصار كان يمكن أن يؤدي الى أن
يشتروا الصياح ويقتنوا العبيد ثم يتبعهم الناس فرقا وأحزابا، فيتعرض المسلمون
لأن تتصدع وحدتهم التي ربطت في عهده المبارك أطراف الجزيرة كلها.

وهذا الشمل القوي يخشى عليه في تقدير عمر له من أن تفتنه الزعامات، وكان
رضي الله تعالى عنه دقيقا يحمل قلبا كبيرا يرصد به بشارات رسول الله وانذاراته
في الناس، فلم ينس رضوان الله عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (. . . انما
أخشى عليكم من بعدي ما يفتح من بركات الأرض)^(٢).

ومن هنا لما حملت اليه بالمدنية الأحماس من غنائم (جلولاء) قال: (والله لا يجني
سقف بيت حتى أقسمه): وبات بالفعل عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن أرقم في صحن
المسجد يجرسانه، فلما أصبح جاء في الناس فكشف عنه جلايبه وهي الأنصاع، فلما
نظر الى ياقوته، وزبرجده، وجوهره... بكى، فقال له عبد الرحمن ما يبكيك يا
أمير المؤمنين، فوالله أن هذا لموطن شكر. فقال عمر (فوالله ما ذاك يبكيك. وتا الله
ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم)^(٣).

مدخل متأول: -

في مسند الإمام أحمد رواية حول شخصية الرجل الذي ولى أمر المسلمين بعد عمر
رضي الله عنه وكان عهده الكريم، لينا، ولجت منه العناصر والقيادات التي كان

(١) الطبري ج ٣ صفحة ٤٢٢٦.

(٢) الجامع الصحيح للبخاري.

(٣) الطبري ج ٣ ص ١١٧.

يمسك عمر معظمها بيد من حديد، حتى أصبحت في وضعها الجديد تمثل هذه قوة جذب لمجموعات من المسلمين دون غيرهم، وكان البعض من هذه المجموعات يلود بهذه العناصر على أمل في الغد، حين اتسعت الديار. أن هم قدموا لهم اليوم بعد أن حلوا في ديار جديدة وأمصار بعيدة، ما يعاون على تشكيلهم الجديد، بعد أن أذن لهم في الخروج، والسياحة في الامصار، والاستقرار في الاقاليم بعيدا عن عين أمير المؤمنين.

وهذه الرواية جاءت على النحو التالي^(١): - جاء رجل الى عائشة رضي الله عنها فقال لها: - (إن أحد بنيك يقرئك السلام، ويسأل عن عثمان فإن الناس قد شتموه....) فقالت: - (... لعن الله من لعنه فوالله لقد كنت قاعدة عند نبي الله صلى الله عليه وسلم، وهو مضطجع على فراشه ورسول الله مسند ظهره اليه، وأن جبريل ليوحى اليه القرآن، وأنه ليقول: - أكتب يا عثم (تقول عائشة) فما كان الله لينزل تلك المنزلة الا كريما على الله ورسوله^(٢)).

هذا وقد روى عن سعيد بن العاص، أن أبا بكر أستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة، فأذن - لابي بكر وهو كذلك، ففضى اليه حاجته ثم انصرف، ثم جاء عثمان فأستأذن عليه فجلس، وقال لعائشة:- (اجمعي عليك ثيابك، وقضى إليه حاجته، ثم انصرف، فقالت عائشة:- (يا رسول الله مالي لم أرك. فزعت لابي بكر وعمر كما فزعت لعثمان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: - (إن عثمان رجل حيي، وإني أخشى إن أذنت له على تلك الحال ألا يبلغ اليّ حاجته)^(٣)).

وإذا فنحن أمام رجل كريم حيي، ولقد آثرنا الاستشهاد بموقف فيه عائشة بالذات، وكأنها تعطي شهادة للتاريخ في حق عثمان رضي الله تعالى عنه، نظرا لما أشاعه المغرضون، حول خلاف نجم بينها وبين الخليفة عثمان في أثناء توليته الخلافة مع أنه - رضي الله عنه - حج بأمهاث المؤمنين مرة بأمر من عمر، وكان معه عبد

(١) مسند أحمد ج ٦ ص ٢٦١.

(٢) مسند أحمد ج ٦ ص ٢٥٠.

(٣) مسند أحمد ج ٦ ص ١٥٥.

الرحمن بن عوف، أحدهما بين أيديهم والآخر من خلفهن، ولا يسايرن رضوان الله عليهن أحدا.

والثانية حين ولى الخلافة: - (حج بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يصنع عمر، فكان عبد الرحمن بن عوف في موضعه وجعل في موضع نفسه سعيد بن زيد: - هذا في مؤخر القطار وهذا في مقدمه^(١)).

وها نحن أولاء نرى عائشة رضي الله عنها تقول حين سئلت عنه: - (لعن الله من لعنه)^(٢).

الا أنه رضي الله عنه لم يأخذ الناس بما أخذهم به عمر ولأن جانبه ورقت حاشيته لهم، فانساحوا في البلاد، فلما رأوها ورأوا الدنيا ورآهم الناس، انقطع اليهم المغمورون من الناس وصاروا حاشيتهم وأتباعهم وأملوهم وقالوا في أنفسهم غدا يؤول الملك الى هؤلاء فنكون قد عرفناهم، وتقدمنا في التقرب اليهم والانقطاع اليهم. وهكذا وجد التمزق مجاله الى وحدة الأمة وظل هكذا حتى كان بعد فترة من أمر هذه الأمة ما فرقها وأضاع وحدتها مما سنعرض له في الصفحات التالية^(٣).

علي بن أبي طالب والخلافة

الذي نود أن ننسبه اليه بادية دي بدء أن موضوع الخلافة على جلال قدره وطموح نفوس الكبار ممن كانوا حول رسول الله اليه، لم يشد اهتمام علي رضي الله عنه كثيرا، فسيرته رضوان الله عليه مع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه اليها، تؤكد أنه لم يكن طالب دنيا، وأنه كان يرضى ويستريح لرأي الجماعة طالما هو في نطاق كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ولما لم يعهد اليه الرسول صلى الله عليه وسلم بالخلافة ولا لأحد من المسلمين إعمالا للشورى من أوسع الأبواب فإن فيما يرويه البخاري عن ابن عباس ما يضيف الى سيرة

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٥٠.

(٢) مسند أحمد ج ٣ ص ٢٥٠.

(٣) الطبري ج ٣ ص ٤٢٧.

الرجل بعدا أخلاقيا يؤكد أنه رضوان الله عليه لم يكن بالرجل الذي يفضل السكوت على مؤامرة انتهك فيها حد من حدود الله،... حين قتل عثمان وعهد اليه المسلمون بالخلافة،... وفيه في نفس الوقت ما يؤكد أن عليا لم يكن مستشرفا للخلافة متطلعا اليها في مرض رسول الله أو بعد أن بايع المسلمون الخليفة أبا بكر رضوان الله عليه .

فما يرويه البخاري عن ابن عباس أن عليا رضي الله عنه خرج من عند رسول الله في وجعه الذي مات فيه . فقال الناس يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله؟ فقال قد أصبح بحمد الله بارئاً ، فأخذ بيده العباس رضي الله عنه وقال: - « أنت والله بعد ثلاث عبد العصا . وإني والله لأرى رسول الله سيتوفى في وجعه هذا، إني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت فأذهب بنا إليه نسأله فيمن هذا الأمر ، فإن كان فينا علمناه ، وأن كان في غيرنا كلمناه ، فأوصى بنا فقال علي: - « أما والله لئن سألتناه فمغنناها لم يعطناها الناس من بعده وإني والله لا أسألها .»

والذي حدث بعد ذلك أنه عقب مقتل عثمان رضي الله عنه ثالث الراشدين ، بايع المسلمون عليا ، وأصبح أميراً للمؤمنين ، لكن أحداثا وقعت إبان عملية المبايعة وأثائها أدت الى التمهيد للصراع السياسي تمثل في ظهور تيارات وأفكار ومذاهب كثيرة ، كان من بينها ظهور (الخوارج) كتيار ديني سياسي أخذ أبعد المواقف وانحرف الى أسفل الغايات .

مبايعة علي بن أبي طالب: -

بعد أن اقتحم الثوار بيت الخليفة عثمان متغلبين على من حول الدار من أمثال محمد بن أبي بكر والحسن والحسين ابني علي وعبد الله بن الزبير ، ولم يحل انكباب السيدة الجليلة (نائلة) زوجة عثمان عليه لتحول بين قتله ،...!! قتله الغافقي بمجديدة كانت معه^(١) . انتهوا بيت مال المسلمين وبيت عثمان وكان ذلك يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥ هجرية الموافق ٦٥٦ ميلادية وبويع علي رضي الله عنه يوم الخامس والعشرين من نفس الشهر (ذي الحجة) .

وإذا علمنا أن المسلمين ذهبوا الى سقيفة بني ساعدة للبحث في موضوع الخلافة

(١) الطبري ج ٥ ص ١٣٠ .

عقب موت الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، وانتهوا من المبايعة لأبي بكر قبل أن يدفن الرسول، لتبين لنا طبيعة المناخ السياسي والاضطراب الذي كانت عليه الأمة يوم مقتل عثمان، بحيث يمكن القول بأن علياً لم يقبل الخلافة إلا بعد سبعة أيام أو خمسة على أقل تقدير^(١). وأن المسلمين لم تجتمع كلمتهم حول الخليفة الجديد لمبايعته والانضواء تحت لوائه إلا بعد هذه الفترة^(٢).

ونستطيع القول بأن هذه الفترة في تاريخ المسلمين من عام ٣٥ هجرية تعتبر أول فصول المأساة التاريخية التي مزقت وحدة الأمة المسلمة إلى شيع، وأدت إلى ظهور الخوارج كتيار ديني وسياسي منحرف^(٣).

أحداث هامة قبيل مبايعة علي: -

يروى الطبري^(٤): - أنه لما كثرت الناقدون على عثمان كان طلحة رضي الله عنهما في طليعة الناقدين، وحين حاصروه في بيته، تهيأ ليكون الخليفة بعد اعتزاله أو قتله، ومن أجل ذلك بادر - فيما يرويه الطبري - فاتخذ على بيوت الأموال مفاتيح وحراساً، الأمر الذي أوحى به إلى الناس أن الأمر يوشك أن يكون بيده، مما دفع عثمان رضي الله عنه إلى الاستعانة بعلي، مذكراً إياه بكل ما بينها من إخاء وعهد وميثاق، ونهض علي فعلاً بما طليه منه عثمان على خير وجه، متوجهاً إلى دار طلحة ومعه أسامة بن زيد، ونادى علي: (يا طلحة ما هذا الأمر الذي وقعت فيه؟)^(٥)، فقال: يا أبا الحسن: - أبعد ما مس الحزام الطيبين؟ لكن علياً حين توجه إلى بيوت المال أصدر أمراً وشجع الناس على تنفيذه وذلك بكسر بيوت المال حتى ينصرف الناس عن بيت طلحة ليبقى وحيداً مضطراً أن يرجع إلى عثمان قائلاً: - (يا أمير المؤمنين أستغفر الله وأتوب إليه: أردت أمراً فحال الله بيني وبينه.

(١) القاضي أبو بكر بن العربي (العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة) تحقيق: محب الدين الخطيب ص ١٠٦.

(٢) المسعودي مروج الذهب ج ١ ص ١٣٠٧.

(٣) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام ج ١ ص ٣٧١.

(٤) الطبري ج ٣ ص ٤٥٣.

(٥) أبو حيان التوحيدي الامتاع والمؤانسة ج ٣ ص ١٩٩.

ومن هنا كانت بداية المحنة التي تعرض لها المسلمون حين تلكأ طلحة وأمثاله عن مبايعة عليّ، حتى اضطروا إليها على زعم زعموه فيما بعد عندما تفجرت الحوادث، وهو أنهم أنما بايعوا عليا ليكونوا معه في الامر أو ليوليهم امارات. ويقطعهم ما شاؤوا^(١).

وقد أضيف لموقف طلحة موقف الزبير وإن لم يبلغ مبلغه فضلا عن الظروف التي أحاطت ببني أمية منذ كانوا يرون في عثمان تعبيرا عن مصالحهم وقد ذهب مقتولا، فضلا عن الملابس التي اجتهدت في حل غموضها أم المؤمنین عائشة رضي الله عنها، فقد ساهمت عوامل في تشكيل موقفها رضي الله تعالى عنها عندما أصرت على الخروج ضد عليّ وعدم الاعتراف بأمامته بالرغم من نصيح أم سلمة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها لعائشة بعدم الخروج، فقد أرسلت إليها كتابا طويلا تطلب إليها العدول عن الخروج وتقول لها: - «لو علم رسول الله أن النساء يحتملن الجهاد لعهد اليك»: أما علمت أنه نهاك عن القراطة - مجاوزة الحد - في الدين؟ فإن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن انصدع، جهاد النساء غض الأطراف وضم الذيول، وقصر الموادة. ما كنت قائلة للرسول صلى الله عليه وسلم لو عارضك - قابلك - ببعض هذه الفلوات ناصة قعودا - أي حائثة الناقة القعود - من منهل الى منهل وغدا تردين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقسم لو قيل لي يا أم سلمة: - ادخلي الجنة لاستحييت أن ألقى رسول الله هاتكة حجابا ضربه علي فاجعله سترك وقاعة البيت حصنك، فإنك أنصح ما تكونين لهذه الأمة لو قعدت عن نصرتهم^(٢)، لكن أم المؤمنین عائشة رضي الله كانت ترى أنه عليها واجب التدخل لحسم الصراع الذي بدأ يتفجر بين شيع المسلمين قبل أن يستفحل وكان ذلك مرادها، كما يتضح من الرد الذي أرسلته الى أم المؤمنین أم سلمة فقد أرسلت إليها تقول: - (أما بعد فما أقبلني لوعظك، وأعرفني لحق نصيحتك، وما أنا بمعمره بعد تعريج، ولنعم المطلع مطلع فرقت فيه فئتين متشاجرتين من المسلمين، فإن أقعد فعن

(١) الطبري ج ٣ ص ٤٥١.

(٢) ابن عبد ربه (العقد الفريد) ج ٣ ص ٦٩.

غير حرج، وإن أمض فإلى ما لا غنى بي عن الازدياد منه والسلام^(١).

وقبل أن تمضي بنا الحوادث في تداخلها نود أن نشير إلى أن خروج أم المؤمنين لم يكن تحت تأثير شخصي، أو لعداوة بينها وبين علي رضي الله عنهما؛ فقد جهزها علي بما تحتاج إليه في سيرها حين خرجت من المدينة معتمرة وحاجة وزارها في البيت الذي نزلت فيه، وأوفد أولاده ليشيعوها وودعها بنفسه يوم رحلت^(٢). حتى قالت فيه رضي الله عنه: - (والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحائها، وإنه عند - علي معتي - من الأخيار.

ويرد علي رضي الله عنه ويقول: (أيها الناس صدقت والله وبرت، وإنه ما كان بيننا إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة^(٣)).

ومن هنا نستطيع القول، وبغير تجاوز أن كلا الفريقين، فريق علي ومن بايعه وظل على ولائه له، والفريق الذي مثلته أم المؤمنين رضي الله عنها، أو الفريق الذي انضمت إليه واجتهدت في تفسير موقفه، لم تكن تعوزه النية الطيبة، ونقاء السريرة، والاجتهاد الصادق في البحث عن الحق والتعبير عنه، ولكل منها عند الله أجره، لكن الذي حدث أن اشتغلت الاجواء التي أحاطت بالمجتمع الاسلامي وبحركته المضطربة بحثًا عن الحق وعملت الأهواء عملها في عناصر أخرى حديثة عهد بالاسلام، أوليست علاقتها به علاقة صدق وتفاء، فاندست تقود الحوادث وتوجه مجريات الأمور حتى وقعت واقعة الجمل الشهيرة.

هذا وقد كثرت تعليقات وتحليلات الباحثين حول دوافع القتال الذي نشب بين المسلمين في موقعة الجمل، وقد حاول الكتاب المحدثون من أصحاب النوايا السيئة والمغرضة أن يطمسوا معالم المرحلة التاريخية الأولى لنضال المسلمين وذلك بالعمل على إبراز جوانب شخصية وعدوانية في واقع الفرق المتقاتلة.

والواقع أن الدور الذي أداه (السبئيون) ومن مالأهم من قتلة عثمان هو الذي أدى

(١) ابن عبد ربه (العقد الفريد) ج ٣ ص ٩٦.

(٢) ابن سعد (الطبقات الكبرى) ج ٣ ص ٣٠.

(٣) ابن سعد (الطبقات الكبرى) ج ٣ ص ٥٦.

الى النتائج الوخيمة في واقعة الجمل وما تلاها . فقد كان الصلح بين الفريقين يوشك أن يتم بعد إن اتفقوا على أن لا يقتلوا . حتى بدأوا يطلبون بذلك الحجة على الآخرين ، بل ان عليا رضي الله عنه كان قد ذهب في التدليل على حسن نيته ومقدرته على السيطرة على الموقف في أبعد مدى ، فقد طلب من أحد مؤيديه أن يحمل مصحفا ليدور به على أصحاب الفريق الآخر أمرا له أن يعرضه عليهم قائلا (هو بيننا وبينكم من أوله إلى آخره . والله في دمائنا ودمائكم).

واستنادا على هذا فان الأمر كما يقول القاضي ابن العربي^(١) : يتمثل في أنه لم يكن في نية أحد من الطرفين القتال ، لكن وزر نشوب الحرب يقع على قتلة عثمان ومن إليهم من السبأية وعناصر الفتنة التي لم يكن أحد من أصحاب رسول الله يمثل فيها تيار الهوى أو المصلحة الشخصية .

وفي تعليقه على اجتماع مكة الذي سبق الحرب وكانت قيادته ممثلة في مروان بن الحكم وبنو أمية وطلحة والزبير بعد أن بايعا عليا تحت قيادة السيدة عائشة رضي الله عنها يقول : لأن قصد الذين خرجوا من مكة ودافعهم إلى الخروج لم يصح فيه نقل ولا يوثق فيه بأحد ، لأن الثقة لم ينقله ، وكلام المتعصب لا يسمع ، فيحتمل أنهم خرجوا خلعا لعلي لأمر ظهر لهم^(٢) مع أن هذا الاحتمال الذي ذهب اليه القاضي ابن العربي مستبعد من هؤلاء الصفوة من أصحاب رسول الله ﷺ . ثم يعود القاضي ويقول : (...) ويحتمل أنهم خرجوا في ضم طوائف المسلمين وردهم الى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا وهذا هو الصحيح لا شيء سواه وبذلك وردت صحاح الأخبار^(٣) .

هذا ويذهب القاضي الباقلاني الى نفس رأي القاضي ابن العربي القائل بأن الحرب بين أصحاب رسول الله لم تنشب الا بعد أن خشي قتلة عثمان أن ينكشف أمرهم ويتعرف المسلمون عليهم فقرروا أن ينقسموا الى قسمين ، منهم من ينضم الى

(١) القاضي أبو بكر بن العربي (العواصم من القواصم) ص ١١٢ .

(٢) القاضي ابو بكر بن العربي (العواصم من القواصم) ص ١١٢ .

(٣) القاضي أبو بكر بن العربي (العواصم من القواصم) ص ١١٢ .

هذا الفريق، بينما ينضم الباقي الى الفريق الآخر، حتى يبدو الموقف أن طلحة والزبير قد غدرا ويترتب عليه أيضا في الجانب الآخر أن عليا قد غدر وساعتها تستعر نار الحرب وتشتد.

موقعنا الجمل وصفين

في مكان يعرف عند المؤرخين (بالخرابية) في البصرة، وفي منتصف جمادى الآخرة عام ٣٦ هجرية دارت الحرب بين أهل الشام والعراق، وكل من قادة الفريقين يجتهد في الوصول الى الحق غير واضح في الاعتبار الدور السري الذي أداه السبئيون وقتلة عثمان في اشعال النار، فقد كان الهدف المبتغى عند طرف من القادة من سحب رسول الله ﷺ أنهم حين تحركوا انما يدعون الى المبايعه لعلي، وتأليف الكلمة على الامام الذي بايعه جمهور الأمة من المهاجرين والأنصار، وطرف آخر من القادة خرج يدعو الى التمكين من قتلة عثمان ويقولون مجتهدين لا نبايع من يؤوى القتلة^(١)، وصوت علي يصل الى مسامع الجميع يقول: لا أمكن طالبا من مطلوب، ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم، ومعاوية رضي الله عنه يقول هو الآخر: لا نبايع متها أو قاتلا له^(٢)، وهو أحد من يطلب فكيف نحكمه أو نبايعه؟.

وبعيدا عن تفاصيل معركة الجمل، وبطولة الفريقين المتقاتلين استبسالا في التعبير عن موقفها، فان خسائرها كانت قليلة، وتجلت في موقعة الجمل سماحة ومروءة الامام علي رضي الله عنه على أفضل وأكرم ما تكون أخلاق المسلمين، فقد أوصى أصحابه، وأمرهم أن يكفوا أيديهم وألسنتهم عن اخوانهم، وطلب منهم أن يصبروا حتى وان هزموا اخوانهم، فلا يجهزوا على جريحهم أو الهاربين، أو يثلوا بالقتلى، أو يهتكوا الأستار^(٣) ولا يدخلوا بيوتهم بغير اذن ولا ينيهوا أموالهم، ويرفقوا بالنساء حتى لو سبيت لأنهن مؤمنات.

هذا وقد ترحم رضي الله عنه عليهم وقال: (اللهم اغفر لنا ولهم).

(١) القاضي العربي (العواصم من القواصم) ص ١١٩.

(٢) القاضي العربي (العواصم في القواصم) ص ١٢٠.

(٣) الحافظ ابن كثير (البداية والنهاية) ص ١٣٦٠.

ولما سئل رضي الله عنه عما اذا كان قتل الجمل مشركين، أو منافقين أجاب: (من) الشرك فروا، ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا انما هم اخواننا بغوا علينا^(١). هذا وقد انتهت حرب الجمل. ولم تسفر عن الانشقاق السياسي والديني الحاد الذي أسفرت عنه بعد ذلك بعبء شهور موقعة (صفين) التي انبثق عن نتائجها تيار (الحوارج). فقد كانت موقعة جمل أشبه ما تكون بتشابك رحيم بين أخوين. سرعان ما انفض، ولم تترك آثارها لا فيما بعد وعلى يد من وسعوا هوة الصراع من غير قيادات الطرفين أو الذين كان من بينهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ.

وحين بدأت عمليات الحشد والتجميع لمعركة صفين، بأن أجمع الناس على المسير الى صفين، وتجهز معاوية هو الآخر حتى نزل صفين، كان على قد عبر بالناس الجسر ثم مضى حتى نزل على دير أبي موسى على شاطئ الفرات ثم أخذ على الأنبار^(٢) بعد أن سار من الكوفة الى صفين في تسعين ألفا. وسار معاوية من الشام في خمسة وثمانين ألفا^(٣)، وعسكر في موضع سهل على الفرات وبات على وجيشه في البر عطاشا لأنه حيل بينهم وبين الماء.

هذا وقد بدأت معركة صفين بعد أن أرسل الامام صفوة من رجاله أجلوا جند معاوية عن الماء، ثم أرسل اليه يدعوه الى توحيد الكلمة والدخول في جماعة المسلمين. لكن يبدو أن رسل الطرفين عليا ومعاوية لم يكونوا من المرونة التي يجب ان تتوفر لمفاوضات كذلك المفاوضات بل كانت فيهم شدة فتوسعت هوة الخلاف بين الطرفين^(٤) وعاد القتال بين علي ومعاوية في صفر عام ٣٧ هجرية واشتعلت الحرب فيما بينها أياما متوالية حتى تمكن أصحاب علي من الزحف على جند معاوية، وأشرفوا على الفتح، لولا أن ظهر في ميدان القتال ذلك العمل الجماعي الذي لجأ اليه جند معاوية، وفيما يقول المسعودي بتوجيه من عمرو بن العاص بعد أن طلب اليه معاوية، ما يختبئ في صدره من براعة

(١) المسعودي (مروج الذهب) ج ٢ ص ١٧.

(٢) ابن قتيبة الدينوري (الامامة والسياسة) جزء (صفحة ١٤٦).

(٣) حسين ابراهيم (تاريخ الاسلام السياسي) جزء (صفحة ٣٧٦).

(٤) الطبري ج ٥ ٣٤٣.

التصرف حين تشدد الأزمات، ولجأوا الى حيلة رفع المصاحف. فحين رأى أهل العراق المصاحف مرفوعة قالوا: (نجيب الى كتاب الله). ولم يسمعوا لنصح علي الذي اتتبه الى أن ذلك خدعة حرب، ولكنهم أبوا وطلبوا من علي أن يرسل للأشتر في وقف القتال:.. وما كان من علي الا أن قال للرسول الذي بعثه للأشتر مرة بعد الأخرى: (ويحك.. قل للأشتر أن يقبل فإن الفتنة قد وقعت).

التحكيم بين علي ومعاوية:

بعد أن سكنت نيران الحرب في صفين بين علي ومعاوية دون أن تحقق لأي منهما نصرا حاسما وخاصة بعد خديعة رفع المصاحف، أرسل علي الأشعث بن قيس الى معاوية يستطلع رأيه. فقال له معاوية: (نرجع نحن وأنتم الى ما أمر الله في كتابه.. تبعثون منكم رجلا ترضونه، ونبعث منا رجلا، ثم نأخذ عليهما أن يعملنا بكتاب الله). ولما رجع الأشعث الى علي برأي معاوية قبله ورضي. واختار أهل الشام عمرو بن العاص بينما اختار أهل العراق أبا موسى الأشعري.

ومع أن المسعودي يرى أن عليا كان غير راض عن أن يمثله في هذه المفاوضات أبو موسى الأشعري^(١) الا أن عمرو بن العاص والأشعري اجتمعا في دومة الجندل التي تقع على الطريق بين دمشق والمدينة وكتبا عقد التحكيم^(٢)، بعد أن كان مع كل حكم منها نيابة عن الطرف الذي يمثله أربعائة رجل.

هذا ويذكر المسعودي، أن عبد الله بن عباس، قال لأبي موسى قبيل التحكيم: ان عليا لم يرض بك حكما لفضل علي غيرك^(٣)، والمتقدمون عليك كثير، وان الناس أبوا غيرك، واني لأظن ذلك شرا يراد بهم، وقد ضم داهية العرب معك، إن نسيت فلا تنس أن عليا بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان. وليس فيه خصلة تباعده عن الخلافة، وليس في معاوية خصلة تقربه من الخلافة.

لكن من البداية لا بد وأن ندرك أننا أمام موقف فيه معاوية وأهل الشام قد

(١) المسعودي (مروج الذهب) جزء ٢ صفحة ٢٢.

(٢) الطبري ج ٦ صفحة ٣٠.

(٣) المسعودي (مروج الذهب) جزء ٢ صفحة ٢٥.

اتفقوا فيما بينهم حين اختاروا عمرا. وفيه على وقد كره خضوعا لرأى أهل العراق على أن يمثله فيه أبو موسى الأشعري. وقد استنصأ عمرو فيما يرويه السعودي استدراج أبي موسى الأشعري. حتى تم كتابة الصحيفة. التي أشار إليها الطبري وساق نصها في الجزء السادس من كتابه (تاريخ الأمم والملوك) صفحات ٢٩ - ٣٠. والتي قبل فيها أبو موسى الأشعري خلع عليٍّ ومعاوية بينما لم يقبل عمرو بن العاص خلع معاوية.

وقد قبل أبو موسى ما ذهب إليه على أمل أن يستبيل المسلمون أمرهم من جديد^(١).

وما إن انتهى إلى علي أمر التحكيم بهذه النتائج التي أحدثت فرقة وضجيجا في وسط الجماعات الإسلامية التي كانت تضوى تحت لوائه إلا وقد أخذ يستعد لأن يبادر بموقف أكثر حسما للأمور. وأكثر قدرة على الحركة والنفاذ إلى خصومه.

وبينا هو يجهز من معه للقتال ضد جيش معاوية وقيادته التي أبت إلا المراوغة جاءت الأخبار أن العناصر التي أخذت موقفا أوليا عند بدء التحكيم بالرفض قد طورت موقفها من مبدأ التحكيم وأصبحت بالانشقاق السياسي الذي مثلته قوة عسكرية عرفت لكي تميز نفسها عن باقي الفرق المتقاتلة بإسم (الخوارج) بعد أن اعتزلت عليا ومن بقي معه وظل على ولاءه له. وقد تحددت ملامح القوى التي أطلق عليها (الخوارج) بعد أن سارت نحو المدائن متجمعة هناك مستهدفة بين ما تستهدفه عليا وأصحابه قبل غيرهم.

الخوارج سياسيا

قبل أن نعرف الحركة السياسية والمنطلقات الدينية التي شكلت موقف الخوارج من قضية التحكيم وانتهت إلى ما انتهت إليه حتى أصبحوا قوة عسكرية اضطر الفريق الذي ظل تحت لواء علي أن يكون في حرب مع فريق معاوية ومجموعات الخوارج، يتعين علينا أن ننظر هل كان علي رضي الله عنه محقا أو مضطرا إلى قبول

(١) الطبري ج٦. ص ٢٩ - ٣٠.

التحكيم، والذي هو بمثابة قبوله ضمنا التنازل عن الخلافة التي ألبسها إياه جمهور الأمة، ولو فترة التحكيم، فان قبول التحكيم معناه سياسيا أن الامام على الخليفة خلال مدة التحكيم قد أصبح بمعزل عن الخلافة، ومن ثم فقد أصبح المسلمون بلا خليفة، الأمر الذي أوقع كثيرا من الناس في بلبال وحيرة. كما سؤل لكثير من الناس أن يستخفوا بالخلافة، وأن يخرجوا على طاعة الامام وهم معه وفي مصرة^(١).

وأیضا هل كانت هناك قوة ضاغطة في جناح علي وهو الخليفة الذي خرجت معه الجماعات التي تنضوي تحت لواء بيعته لتقاتل من لم يبايع. أو تندعو باقي الأمة في الأمصار الى المبايعة؟ هل كانت هناك قوة تفرض عليه حين قبل مبدأ التحكيم من يمثله في المفاوضات كأبي موسى الأشعري وهو غير راض عنه؟ الأمر في تقديري يحتاج الى تراث وأناة في الحكم وذلك لكي يلقي البحث ضوءا على البواعث التي كانت وراء ما انتهت اليه مجريات الأحداث السياسية.

هذا ويرى بعض الكتاب المعاصرين^(٢) أن قبول التحكيم فضلا عن الاستجابة للضغط الذي مورس حتى مثل أبو موسى عليا قد أضعف حق الامام على السياسي في الخلافة، بل وأسقط حجته التي كان يحتج بها على معاوية من أنه الخليفة الذي بايعه المسلمون.

وعندهم أيضا أن عليا بعد أن رأى الكيد أمامه والخلاف عليه^(٣)، ولما لم يكن أمره مستقيما على الوجه الذي يمكن له من إنفاذ رأيه، وإمضاء عزمته، فضلا عن إدراكه المبكر لخدیعة الاحتكام إلى كتاب الله تعالى^(٤). فقد قبل التحكيم.

ولما لم يكن أيضا أمام ما أحاط بجيش على الا أن يرد طلب التحكيم ويحارب أو يقبل التحكيم فان الامام على كان أمام موقف صعب للغاية، فانه ان رد التحكيم

(١) عبد الكريم الخطيب (علي بن ابي طالب) ط الأولى عام ٦ دار الفكر العربي - القاهرة صفحة ٥١٨

(٢) المصدر السابق صفحة ٥٢٠

(٣) نهج البلاغة ج١ صفحة ١٢٢

(٤) نهج البلاغة جزء ١، صفحة ١٢٢

وحارب فسيحارب بجيش قد دبت فيه الفرقة. وان قبل التحكيم كما فعل فقد قبله وسيدخل الى مفاوضاته بجماعة قد عملت فيها الفرقة أيضا عملها، ومن هنا رضي الله عنه اختار العافية وآثر السلم، خاصة وان الامام كان يعمد عن يقين وبغير تجاوزات، أو تأويلات أنه ان حارب. فانما يحارب مسلمين. وان قاتل وقتل فانما يقتل من جماعة المسلمين، فهي حرب هو مكره عليها كما يكره المرء على قطع جزء من أعضائه لصالح بقية الأجزاء.

وفي حوار بينه وبين جماعة من الخوارج الذين أنكروا عليه أمر التحكيم، ورموه بالكفر هو ومن رضي هذا التحكيم، قال لهم: (الم تقولوا عند رفعهم المصاحف، اخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا الى كتاب الله سبحانه فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم؟. فقلت لكم هذا أمر ظاهره ايمان وباطنه عدوان، وأوله رحمة، وآخره ندامة. فأقيموا على شأنكم. والزموا طريقكم. وعضوا على الجهاد بنواجذكم، ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق، إن أجيب أضل، وإن ترك ذل، وقد كانت هذه الفعلة وقد رأيتم أعطيتموها. والله لان جنبتها ما وجبت علي فريضتها ولحملي الله ذنبها:.. والله ان جئتها، اني للمحق الذي يتبع وان الكتاب لمعي ما فارقت منذ صحبتته ولقد كنا مع رسول الله ﷺ وان القتل ليدور بين الآباء والأبناء والاخوان والقربات، لا نزداد على كل مصيبة وشدة الا ايمانا ومضيا على الحق، وتسليما للأمر وصبرا على مضض الجراح، ولكن انما أصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام، على ما دخل فيه من الزيع والاعوجاج والشبهة والتأويل، فاذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعنا، وتدانى بها الى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وأمسكنا عما سواها^(١).

هذا وحين جاءته حكومة الحكمين بما أشاع الاضطراب بين صفوف رجاله، وبما دفع الخوارج الى ما انتهوا اليه واتهامهم اياه، بالخروج عما في كتاب الله قال لهم: (... انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن، وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين.. لا ينطق، بلسان ولا بد له من ترجمان، وانما ينطق عنه الرجال. ولما دعانا القوم الى أن نحكم بيننا القرآن، لم نكن الفريق المتولى عن كتاب الله، وقد قال الله سبحانه: (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) فرده الى الله أن نحكم بكتابه،

(١) المصدر السابق صفحة ١٢٠

ورده الى الرسول أن نأخذ بسنته فاذا حكم بالصدق في كتاب الله . فنحن أحق الناس به، وان حكم بسنة رسول الله ﷺ فنحن أولاهم بها .

وأما قولكم لم جعلت بينكم وبينه أجلا في التحكيم؟ فانما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم، ولعل الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة^(١)

لكن الذي حدث وابتلى به الامام علي رضي الله عنه أن تعرض لما وصفه هو بنفسه فيما ينسب اليه بعد أن نفض كثيرون من كانوا حوله في العراق أيديهم عنه حتى قال: (منيت بمن لا يطيع اذا أمرت، ولا يجيب اذا دعوت، لا أبا لكم . ما تنتظرون بنصر ربكم؟، أما دين يجمعكم؟ ولا حمية تحمسكم؟ أقوم فيكم مستصرخا واناديكم متغوئا، فلا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي أمراً، حتى تكشفت الأمور عن عواقب المساءة، فما يدرك بكم ثأر ولا يبلغ بكم مرام^(٢) .

علي بن أبي طالب والخوارج

الذي يتابع تاريخ الخوارج ويتفحص في المقدمات والنتائج التي انتهوا اليها يجد أن عوامل خارجية بعيدة عن الساحة الاسلامية هي التي أدت الى ما انتهت اليه الأمور أبان هذه الفتنة، ويجد أن الذين قادوا الجماعة أول الأمر كانوا أكثر الناس ولاء لعلي، وأحرصهم على سلامة دينهم، بل ومن أكثر الناس زهدا في الحياة، كان هذا شأن الجماعة (الخوارج) قبل المرحلة التي ذهبوا فيها يتأولون، أو يفسرون ما ذهبوا اليه تفسيرا أفسح فيما بعد المجال لواردات العقل اليوناني والهندي والفارسي حتى تطور موقف الخوارج سياسيا ودينيا في المجال التاريخي بحيث أصبحوا قوة صدام للاسلام والمسلمين .

هذا وما يجدر ذكره في هذا المقام أن الخلاف كان بعيد المدى عميق الغور بين أول الخوارج حين خرجت متأولة تحاول أن تحتهد فيه دهست فيه حتى وقعت في الكيأثر التي وقعت فيها، وبين آخرها حين أصبحت متأثرة بالثقافة والأفكار غير الاسلامية

(١) نهج البلاغة ج١ ص ١٢٣

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٢

عليّ التحكيم، وعلى عثمان أثرته لأهل بيته، ويرون أن الخلافة تكون شورية النظر منها لعقلاء الأمة، ولا تتعين في بيت ولا شخص، ولا يعترفون بالسلطة الشخصية).

وهؤلاء يردون الأحاديث الواردة عن طريق عثمان وعليّ ومعاوية ومن كان من حزبهم، كما يردون أقوالهم في الفقه ولا يعملون بالسنة، ولهم أقوال فقهية ومسائل، وعلى مقتضى مذهبهم يجوز الخروج عن الأئمة ليجرد الفسق.

... بل يكفرون بانعاصي. انطلاقاً من بعض القواعد التي اعتنقوها على ضوء تناولهم لبعض آيات الذكر الحكيم وأحاديث الرسول ﷺ مما سنعرض له عند تناولنا لمعتقداتهم الدينية.

وإذا كان الخوارج قد سبقوا غيرهم في القول بالخروج على الامام، ونفى اشتراط أن يكون في قریش بل وتجاوزهم هذا المعنى إلى تكفير الامام بالمعصية أو بالقعود عن أمر في كتاب الله دون أمر آخر، فإن عقيدتهم هذه كان لها من رد الفعل المعاكس ما كان وخاصة نظريات الشيعة المختلفة في عقيدتهم نحو عليّ وبنيه، وخاصة طائفة الغلاة منهم، ذلك أن الشيعة لم يكونوا أكثر من رد فعل مضاد لجنوح الخوارج وتطرفهم في تكفير معارضيتهم وعليّ رأسهم عليّ، فكان من اليسير أن يظهر المدافع عنه المرتبط به، وأن يسلك نفس النهج المتطرف: فمقابل التكفير لعليّ ومن انضوى تحت لوائه من جانب الخوارج، ظهرت فكرة التأييد لعليّ وأبنائه بواسطة الشيعة الغلاة.

هذا ويذهب الدكتور (الريس) إلى أن نظريات الخوارج لم تصغ فترة طويلة في قالب علمي له منهجه أو جاهدته، بل ظلت نظرياتهم تتجمع على عليّ، وعلى طول امتداد حياتهم^(١).

هذا وقد ذهب الرازي^(٢) إلى أن فرق الخوارج تصل الى واحد وعشرين فرقة، بينما هم عند الامام الأشعري، لا يتجاوزون أربع فرق.

لكن (الملطى) وهو من أقدم من كتب في الفرق، فعصره هو ٣٧٧ هـ الموافق ٩٨٧م يقسمهم الى الفرق الآتية، ولعله فيما ذهب اليه هو الأقرب الى الصحة من

(١) الدكتور / محمد ضياء الدين الريس (النظريات السياسية الاسلامية) القاهرة صفحة ٤٨.

(٢) الرازي (أعتقادات فرق المسلمين والمشركين) صفحة ٥١.

حيث التصنيف لهم وهو ما نميل إليه ونرجحه

المحكمة: -

وهم الذين كانوا ينزلون بسيوفهم إلى الأسواق ويجمعون ناس منادين الى شعارهم الشهير (لا حكم الا لله) ثم يضربون بسيوفهم كل من يجذونه ويقضون على الناس في الطرقات والبيادين في هجمات مفاجئة، فيقتلون كل من يلحفون به، ولا يزالون هكذا يقتلون الناس حتى يقتلوا ولذا خشيم الناس وكانوا يتفون أماكن تواجدهم أو تجمعهم.

وهم في دفاعهم عن هذا المبدأ (لا حكم الا لله) يعتقدون أنه لا تحكيم في دين الله لأحد من الناس الا بالله، وهم لهذا السب يكفرون كل من يتدول أمر لا يعبر عن حكم الله في الناس.

ولعل المحكمة. وميلهم للتعبير عن عقيدتهم بالعدو. ومذومة من يخالفهم، هم مصادر مباشرة للأفكار والمذاهب التي اعتنقها البعض من يتسبب للإسلام ويلجأ الى العنف كوسيلة للتعبير أو الحوار.

الفرقة الثانية: - الازارقة.

وهم أتباع نافع بن الأزرق وأتباع عمرو بن قتادة. ومع أن الملطي^(١) يرى أنهم أقل الخوارج شرا، لانهم لا يرون أهراق دماء المسلمين، ولا غنم أموالهم، ومع ذلك فهم يعتقدون بكفر العاصي، ويتبرأون من عثمان وعلي رضي الله عنهما.

وفي التعريف بهم يقول ابن حزم^(٢) عنهم انهم قالوا بأبطال رجم من زنى وهو محصن، وقطعوا يد السارق من المنكب. وأوجبوا على الحائض الصلاة والصيام في حيضها، وأباحوا دم الأطفال ممن لم يكونوا في عسكرهم. وقتل النساء أيضا ممن لم يكن في عسكرهم، وبرأت الازارقة من قعد عن الخروج لضعف أو غيره، وكفروا من خالف هذا القول بعد موت من قال به منهم. ولم يكفروا من خالفه فيه في حياته،

(١) أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي في كتابه (التبهي والرد على أهل الأهواء والبدع)

ص ٥١.

(٢) أبو حزم (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ج ٣ ص ١٨٩.

وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير أهل عسكرهم، ثم يقتلونه اذا قال أنا مسلم، ويجرمون قتل من انتمى الى اليهود أو النصارى أو المجوس، وهذا شهد عليهم رسول الله ﷺ بالمروق من الدين كما يبرق السهم من الرمية، اذ قال عليه السلام: انهم يقتلون أهل الاسلام. ويتركون أهل الأوثان، وهذا من أعلام نبوته ﷺ اذ أنذر بذلك..^(١)

الفرقة الثالثة من الخوارج: النجدية:

النجدية هم أصحاب نخدة بن عويم الحروري، وهم في جملة ما يعتقدون، يكفرون السلف والخلف. وليس مهم عندهم أن يكون بينهم امام يرجعون اليه وينتهون عنده، بل الأفضل عندهم أن يتعاطى الناس الحق فيما بينهم، على ضوء ما يروونه من المصالح التي يتعاملون بها. وقالوا: بكفر من قعد عن الهجرة الى عسكرهم. وهم بين فرق الخوارج أشبه ما يكونون بالجناح المحافظ أو المتشدد فعندهم مثلا أن من كذب ولو مرة واحدة أو عمل عملا هينا ليس في كتاب الله فأصر عليه ولم يتب منه فهو كافر مشرك مخلد في النار^(٢).

الفرقة الرابعة من الخوارج: الاباضية:

الاباضية هم أصحاب: أباض بن عمرو الذين خرجوا من الكوفة مجموعات في شكل جماعة قاتلة قتلت الناس في الطريق وسبت النساء وقتلوا الأطفال أيضا وكفروا الأمة جميعا وأشاعوا الكثير من الفساد والعنف الدموي. يقول ابن حزم الأندلسي في التعريف بهم^(٣): (... شاهدنا الاباضية عندنا بالأندلس يجرمون طعام أهل الكتب، ويجرمون أكل قضيب التيس والثور والكبش، ويوجبون القضاء على من نام نهارا في رمضان فاحتم، ويقيمون وهم على الآبار التي يشربون منها الا قليلا منهم، ويرون الحج في جميع شهور السنة، ويجرمون أكل السمك

(١) ابن حزم (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ج ٣، ص ١٩٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٠.

(٣) المصدر السابق ١٨٩.

حتى يذبح، ولا يرون أخذ الجزية من الجوش. ويكفرون من خطب في الفطر والأضحى، ويقولون: أن أهل النار في النار في لذة ونعم وأهل الجنة كذلك^(١).

هذا ومن الجدير بالذكر أن الاباضية بمعتقداتهم المختلفة التي عرت عنها الفرق التي أشرنا إليها لازال منهم بقايا بسواد الكوفة.

هذا ويذهب (فنسك) في دائرة المعارف الاسلامية^(٢) إلى أن حركة الاباضية وجدت في بلاد العرب تربة خصبة، حتى أصبحت مع الزمن المذهب السائد في بعضها مثلما هو الحال اليوم في عمان، بينما ينتشر بعضهم في صحراء تونس وجزائر وبيون حياة اجتماعية خاصة، ولطوائفهم وقبائلهم علاقات اتصال مع بعضهم حتى مع بعد الديار، فللاباضيين في عمان وزنجبار علاقات بمن في تونس والجزائر وليبيا^(٣).

الفرقة الخامسة من الخوارج: الحرورية:

الحرورية هم الذين يكفرون الأمة متولين للشيخين أبي بكر وعمر. ويتبرأون من عثمان وعلي، ويسبون النساء ويستحلون الأموال والأعراض. ويستمدون أحكامهم من القرآن فقط غير معترفين بالسنة اطلاقاً.

وكانت بداية هذا التيار المتطرف (عقيدياً في نهج الخوارج وفكرهم): أن يزيد بن قيس الأرجى جمع عددا ضخماً من قبل وبعد (النهروان)، فشكل بهم القوة التي رأى الامام علي أن يلقاها بنفسه ويعذر اليهم قبل أن يقاتلهم، فدعا: صعصعة بن صرحان العبدي، فقال له: ائت القوم ودلني على الرجل المقدم فيهم، فركب الامام اليهم متجها الى حروراء، فجعل يتخللهم حتى صار الى مضرب (يزيد بن قيس) فضلى فيه ركعتين، ثم خرج فاتكأ على قوسه، وأقبل على الناس ثم قال: (هذا مقام من فليح يوم القيامة)!!

انشدكم الله: ..أعلمتم أحدا منكم كان أكره للحكومة مني؟

(١) المصدر السابق ١٨٩.

(٢) فنسك وآخرين (دائرة المعارف الاسلامية) ص ١١.

(٣) يحيى بن معمر (الاباضية في موكب التاريخ) ص ١٢٠.

قالوا: لا .

قال: أفلمتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها قالوا: نعم .
فعلام خالفتموني وناذتموني؟

قالوا: إنا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الى الله ، فتب الى الله منه واستغفره نعد لك .
قال: اني استغفر الله من كل ذنب .

فرجعوا معه وهم ستة الاف ، فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليا رجع عن التحكيم
ورآه ضللا وقالوا: - أما ينتظر أمير المؤمنين أن يسن الكراع ويجبى المال ،
فينهض الى الشام .

فأتى الاشعث بن قيس . عليا كرم الله وجهه ، فقال: - كرم الله وجهه - « يا
أمير المؤمنين أن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضللا ،
والاقامة عليها كفرا ، فخطب عليها الناس فقال: - « من زعم أني رجعت عن
الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضللا فهو أضل^(١) . فخرجت الخوارج فحكمت ،
فقيل لعلي: - أنهم خارجون عليك ، فقال: - لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون^(٢) .

وهؤلاء هم الذين ساهم الشهرستاني باسم (المحكمة الأولى).

وهؤلاء المحكمة هم الذين اجتمعوا (بجوراء) من ناحية الكوفة ورؤساؤهم: عبد
الله بن الكوا ، وعتاب بن الأعور ، وعبد الله بن وهب الراسبي ، وعروة بن جرير ،
ويزيد بن العاصم المحاربي ، وحرقوق ابن زهير ، المعروف بذي الندبة ، وكانوا
يومئذ في اثني عشر ألف رجل

• وحول هؤلاء فيما روى الشهرستاني يقول: - قال النبي ﷺ تحقر صلاة أحدكم
في جنب صلاتهم ، وصوم أحدكم في جنب صيامهم . ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم ،
وهم المارقة الذين قال فيهم ، سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يرقون من الدين ،
كما يرق السهم من الرمية وهم الذين أولهم ذو الخويصرة ، وآخرهم ذو الندبة

(١) (الكامل) للبرد ج ٢ ص ١٣١ .

(٢) الشهرستاني (الملل والنحل) ج ١ ص ١٥٨ .

وأما خروجهم في الزمن الأول على أمرين:

أحدهما بدعتهم في الإمامة إذ جوزوا أن تكون في غير قریش . وكل من ينصبونه برأيهم، وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل، واجتنب خور كان أماما، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه، وأن كان غير حسن السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله .

وهم أشد الناس قولا بالقياس وقد جوزوا أن لا يكون في العالم أماء أصلا وأن احتيج اليه فيجوز أن يكون عبدا أو حرا أو نبطيا أو قرشيا .

والبدعة الثانية أنهم قالوا أخطأ عليّ في التحكيم، أنحكّم الرجال، ولا حكم الا لله تعالى؟

وقد كذبوا على عليّ - كرم الله وجهه - من وجهين: أحدهما في التحكيم: أنه حكم الرجال، وليس ذلك صدقا، فهم الذين حملوه على التحكيم .

والثاني أن تحكيم الرجال جائز، فأن القوم هم الحاكمون في هذه المسألة وهم رجال، ولذا قال عليه السلام: - «كلمة حق أريد بها باطل» .

يقول الشهرستاني عن هذه الفرقة . وتخطوا عن التخطئة الى التفكير، ولعنوا عليا عليه السلام فيما قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين . فقاتل الناكثين منهم، وما اغتتم أموالهم، ولا سبى ذراريهم ونساءهم، وقاتل القاسطين وطعنوا في عثمان للاحداث التي عدوها عليه، وطعنوا في أصحاب الجمل وأصحاب صفين . (انتهى الشهرستاني)

هذا وتحفل مصادر الفرق الاسلامية بالجدال واللجاج، والخصومة العقيدية بين علي والخوارج، فهم عندما أعلنوا شعارهم (لا حكم الا لله) فلن يؤاخذ عليا من يفهم كتاب الله جيدا، مسترشدا بسنة نبيه محمد ﷺ، واستراح من كان حوله مطمئنا لعلاقة عليّ بكتاب الله إلى تعليق عليّ على هذا الشعار بقوله (كلمة حق أريد بها باطل).

وحين جادلوه رضي الله عنه بأنه حين رضي التحكيم نزع نفسه من أمرة المؤمنين، رد عليهم: - بأنه كان له في رسول الله أسوة حسنة، لأنه قبل أن يتخلى عن (محمد

رسول الله) ليكتب لقريش بدلا عنها (محمد بن عبد الله).

ولما سألوه عن عدم قتله أياهم يوم صفين أجابهم . بأنه انطلق من قوله تعالى (....) ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) فعرف عن حريمهم لقلة عدد من كانوا معه .

ولما سألوه عن تحكيم الرخال كت له أسانيده التي رآها في كتاب الله ، فقد قال لهم: - إن الله حكم في رب بيع بربع درهم ، يقول تعالى: - (يحكم به ذوا عدل منكم) ولو استرشد الحكماء عما جاء بكتاب الله . لما وسعي الخروج من حكمهما^(١) .

هذا وقد أخذ (الملطي) في كتابه (التسبه و الرد على أهل الاهواء) يناقش فكر الخوارج وعقيدتهم ويقول: - (هـ في دفاعه عن هذا المبدأ (لا حكم الا لله) يعتقدون أنه لا تحكيم في دين الله لاحد من الناس الا بالله . ولهذا السبب لا يحكمون بينهم حكما ، فمن أين لهم هذا المعتد واقه عز وجل يقول في كتابه: - (يحكم به ذوا عدل منكم)^(٢) .

وقال تعالى: - (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما....)^(٣) .

وقال تعالى: - (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها.....)^(٤) .

وقال تعالى:- (....ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان إلا قليلا)^(٥) .

فهذه الايات العديدة التي جعل فيها القرآن الكريم أحكاما كثيرة الى وجوه الناس للنظر فيما لم ينزل بيانه من عند الله ، كانت السند والمرجع الذي اعتمد عليه الأمام عليّ فيما رضيه من تحكيم الرجلين .

(١) ابن الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي (التسبيه والرد على أهل الاهواء والبدع) ص ٥١ .

(٢) المائدة - ٩٥ -

(٣) النساء ١٢٨ .

(٤) النساء ٣٥ .

(٥) النساء ٨٣ .

ثم يقول الملطي في هذه القضية بالذات^(١) وكيف أحلوا أهرق دم المسلمين، مع أنه لا يحل دم المؤمن الا لاسباب ثلاثة: - أما زنا بعد احصان أو ارتداد بعد أيمان، أو قتل النفس عمداً، فجهلهم هو الذي أدى إلى إطلاقهم عن أهل القبلة ما أطلقوا بالقتل.

وأما قولهم بأن عثمان وعلياً كانا حقاً مؤمنين وليين للمؤمنين بالاجماع. ثم كفرا، فمردود عليهم قولهم هذا، بما أصبحا عليه حال الخوارج أنفسهم، لأنه ينطبق عليهم، ما روى عن النبي ﷺ بأجماع الأمة: أنهم مارقة.

الخوارج وتكفير الأمة الإسلامية -

كان شيئاً طبيعياً عند الخوارج، على ضوء ما انتهوا اليه وقد كفروا عثمان وعلياً أن ينهجوا نهجاً في تأويل كتاب الله وتناوله بحيث يكفرون أمة الإسلام من أولها إلى آخرها، وهذا هو ما فعلوه، فهم كما سبق القول، يكفرون مرتكب الكبيرة أقيم عليه الحد أو لم يقم، وبعض فرقهم كما أشرنا يكفر المسلم على المعاصي البسيطة، أو ترك ما هو مندوب ومستحب، وهم في سبيل ذلك قد ذهبوا يتناولون كتاب الله على وفق ما ذهبوا اليه من القول بتكفير صاحب الكبيرة انطلاقاً من الدليل الذي رأوه في قوله تعالى: - (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله^(٢)).

وقوله تعالى: - (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً)^(٣).

وقوله تعالى: - (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن)^(٤).

هذا وقد رد عليهم (الملطي) رداً ذهب به مذهب المعتزلة في تناول، الا أن الرجل لم يكن اعتزالياً، فهو عند مثل هذه الآيات التي ساق الخوارج دليلهم على ضوئها، اعتبر الخوارج قد أخطأوا القياس في هذه المسألة لان الله تعالى يقول: - (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة

(١) الملطي (التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع) ص ٥٣.

(٢) سورة المائدة - الآية رقم ٥.

(٣) سورة الرحمن - الآية رقم ٣.

(٤) سورة التغابن - الآية رقم ٢.

أبدا وأولئك هم الفاسقون) (١) - فوضع الفاسق في منزلة بين الايمان والكفر، فلم يقرن سبحانه الفسق بالكفر، بل نص على فسقهم فحسب، كما لم يقل أنهم بالرغم من فسقهم مؤمنون كما رأت المرجئة.

يقول الملطي: وأيضا من أخضاء الخوارج عدم التفرقة بين الكبائر والصغائر من الأفعال بينما فرق الله تعالى بفونه: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما).

فالخوارج ان حاولوا حجة في تكفير لأمة لم يجداوا، وان جعلوا الذنوب كلها كبائر لم يجداوا الى الحجة سبلا عن عقل ولا سمع.

هذا ولم يسكت علماء أهل السنة وخباة على مفتريات الخوارج، فالامام ابو المعين النسفي المتوفى سنة ٥٠٨ هـ - ١١١٤م ورد حججا أكثر من الملطي في تفنيد مزاعمهم، انطلاقا من قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) فالتوبة النصوح لا تكون الا من الكبيرة (٥).

هذا ومما يجدر ذكره في هذا المقام عن الخوارج أنهم وقعوا في خطيئة عدم التفرقة بين الكبائر والصغائر من الأفعال، بينما فرق الله سبحانه بينها في قوله تعالى: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) (٦).

(١) سورة النور - الآية رقم ٤.

(٢) الملطي (التنبيه في الرد على أهل الملل والاهواء والبدع) ص ٥٣.

(٣) النساء: الآية رقم ٣١.

(٤) الملطي (التنبيه في الرد على أهل الملل والأهواء) ص رقم ٥٣.

(٥) النسفي (بجر الكلام في علم التوحيد) ص ٤٨.

(٦) سورة النساء: الآية رقم ٣١.

محتويات الكتاب

صفحة	الموضوع
٥.....	مقدمة
٩.....	الشيعة: ومنشأ التسمية
١٠.....	الأيدولوجية
١١.....	علي بن أبي طالب والخلافة
١٢.....	الشكل السياسي للفكرة الشيعية
١٤.....	أثر الثقافة الفارسية في الفكرة الشيعية
١٦.....	الشيعة الغلاة
١٨.....	زيف هذا المعتقد وبطلانه
٢٠.....	القرآن الكريم وغلاة الشيعة
٢٦.....	نماذج من عدوان الغلاة على كتاب الله
٢٨.....	الشيعة الإمامية
٢٩.....	التعريف بالإمامية
٣٢.....	الزيدية
٣٣.....	علاقة الزيدية بالمعتزلة
٣٤.....	افتقاد الوحدة الفكرية عند الزيدية
٣٤.....	تأثر الزيدية بالإمامة

الموضوع	صفحة
النصيرية.....	٣٧.....
فرقة النصيرية.....	٣٨.....
الإعتقاد بأن عليا يسكن السحاب.....	٤٢.....
التخميس والحجاب والسياب.....	٤٣.....
تناسخ الأرواح.....	٤٤.....
تعظيم الخمر وشجرة العنب.....	٤٤.....
إباحة الزواج من البنات والأخوات.....	٤٥.....
أعيادهم وقداستهم.....	٤٩.....
عيد الفراش.....	٥٠.....
عيد عاشوراء.....	٥٠.....
عيد النيروز.....	٥٠.....
قداس الطيب لكل أخ حبيب.....	٥٢.....
قداس البخور في روح بمور.....	٥٣.....
طوائف النصيرية.....	٥٤.....
الكلازية أو القمرية.....	٥٥.....
فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في النصيرية.....	٥٥.....
جواب شيخ الإسلام ابن تيمية بخطه.....	٥٨.....
انقسام العقيدة النصيرية.....	٦٧.....
الحكم على معتقدات النصيرية.....	٧٠.....
التقريب بين الفرق الإسلامية.....	٧٢.....
* * * * *	
الفرق الباطنية واتجاهاتها العقدية.....	٧٥.....
القرامطة والحرمية.....	٧٦.....
المنهج الباطني في تناول النصوص.....	٧٩.....
العقيدة الباطنية.....	٨٧.....
منهج الباطنية في الدعوة إلى مذهبهم.....	٩١.....

- ٩٢..... حيلة التأنيس والتشكيك
- ٩٣..... حيلة التدليس والتأسيس
- ٩٥..... خلاصة المذهب الباطني
- ٩٦..... معتقدتهم في الإمامة

* * * * *

- ٩٨..... الصوفية في ضوء العقيدة الإسلامية
- ٩٨..... دلالة التسمية
- ١٠١..... نظرة تاريخية على ظاهرة التصوف
- ١٠٧..... تطور ظاهرة التصوف وشيوعها
- ١١٢..... رسوم التصوف وشعائره
- ١١٣..... الطريق الصوفي ودلالته
- ١١٧..... أدب صوفي عن الحب

* * * * *

- ١٢٧..... الخوارج وظاهرتا الغلو والعدوان
- ١٣٢..... علي بن أبي طالب والخلافة
- ١٣٣..... مبايعة علي بن أبي طالب
- ١٣٤..... أحداث هامة قبيل مبايعة علي
- ١٣٨..... موقعتا الجمل وصفين
- ١٤٠..... التحكيم بين علي ومعاوية
- ١٤١..... الخوارج سياسيا
- ١٤٤..... علي بن أبي طالب والخوارج
- ١٤٦..... الخوارج كفرقة دينية
- ١٤٩..... الخوارج النجدية
- ١٤٩..... الخوارج الاياضية
- ١٥٠..... الخوارج الحرورية
- ١٥٤..... الخوارج وتكفير الأمة الإسلامية